الفصل السادس

- أسس «جوزيف ماركو باروخ» أول جمعية صهيونية فى القاهرة، وكمركز شعاع للدعاية الصهيونية.
- الصهيونية: اختراع أوروبى للسيطرة على العالم العربى، وقد استطاعت السيطرة - أولا - على قرار دول الغرب.

obeikan.com

obeikan.com

الغرب الذى صنع الصهيونية وزرعها فى بلادنا
جدلية الخطاب الوطنى والمواقف الملتبسة

يشاع فى أوساط المفكرين – فى الداخل والخارج – وداخل الأروقة العلمية أن اليهود ليسوا جميعاً صهاينة، مع التأكيد بأن هناك عدداً كبيراً من مسيحى الغرب يتبنون الفكر الصهيونى.. منهم: الرئيس ترومان.. آتلى.. المرشال سمطس.. لويد جورج.. بلفور، وغيرهم، والملاحظ أنهم خدموا الفكر الصهيونى، وعملوا على ترسيخ بنيانه فى فلسطين العربية.

ومن الجلى أن توزع اليهود بين حلقات اليمين وحلقات اليسار أوجد لهم وزناً وتأثيراً فى الأحزاب اليمينية الغربية والأحزاب الاشتراكية، ودعم صلاتهم برؤساء الوزراء والمجالس النيابية والنقابية والمجالس المدنية على الإطلاق.

كان الاشتراكيون اليهود. يشيرون دائماً فى تيه وإعجاب إلى المكاسب والنجاحات التى أحرزوها خلال تواجدهم فى «الدولية الاشتراكية» ومدى تأثيرهم فى عدد كبير من «الرفاق» الفرنسيين والنمساويين، والألمانيين، والبولنديين، إذ كانت الدولية الاشتراكية تضم العديد من شتى القوميات.

ثم أخذت جهودهم تضطرد ويتكثف نشاطهم فى «الدولية الثانية» منذ إنشائها فى سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٩٠٦م.

بدأ الطريق أمامهم معبَّداً حين استخدموا مصر كقاعدة ومركز للدعاية الصهيونية فى المشرق العربى، وإن كانت البداية فى العصر الحديث ترجع إلى عام ١٨٩٦م.

«حينما وفد على مصر «جوزيف ماركو باروخ» حيث شرع على الفور فى تأسيس أول جمعية صهيونية فى القاهرة أطلق عليها اسم: «جمعية باركوخيا

الصهيونية » فى مصر، وسعيت إلى جعل مصر مركز شعاع للدعاية الصهيونية بالنسبة لليهود الشرقيين، وكانت الجمعية تقوم بدعوة الزائرين اليهود من أنصار الصهيونية لإلقاء المحاضرات وتبادل المعلومات وجمع الأموال.

نجحت جمعية باركوخيا فى إنشاء عدة فروع فى بعض المدن المصرية مثل الإسكندرية، وبورسعيد، وطنطا، والمنصورة، وكانت هذه الفروع تعمل فى استقلال عن المركز الرئيسى فى القاهرة.(١)

يلاحظ أن فروع الجمعية الصهيونية التى انشرت فى المدن المصرية كانت لا تخضع فى أى إصدار قرار يمس مصلحةالجماعة المركزية. بل حطمت الروتينية وبيروقراطية الأنظمة واللوائح المصرية العقيمة، وبذلك أتيح لها أن تخرج من الآلية الرتيبة إلى الديناميكية ذات النجاح الباهر.

حدث ذلك فى مصر فى وقت مبكر نسبياً قبل صدور « وعد بلفور » عام ١٩١٧ الخاص بإقامة كيان قومى لليهود فى فلسطين، ثم أخذ نطاق الحركة الصهيونية يتسع فى مصر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فتشكلت « منظمات الشبيبة الصهيونية » و« رابطة نوادى المكابى » وفى أعقاب زيارة « هيرتزل » للقاهرة عام ١٩٠٤، تأسست فى الإسكندرية « جمعية بنى صهيون » عام ١٩٠٨، و« جمعية زئير صهيون ».

ومن المعروف أن الحركة الصهيونية أرهص بمولدها عام ١٨٩٧ فى أوروبا على يد « تيودور هيرتزل » الذى خطط لمستقبله ليكون روائياً، وبعد أن فشل فى كتابة الرواية، راح يفكر فى مستقبل آخر، وبدأ يضع الخطوط العريضة على الورق فكانت النتيجة التى مهدت لتبلور الفكر الصهيونى، والانتقال به من الأطر

(١) د. عواطف عبد الرحمن (الصحافة الصهيونية فى مصر) ١٨٩٧ - ١٩٥٤ طبعة ثالثة- مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٠ ص ٤٧.

النظرية إلى مرحلة « الحركة الخاصة ».

كان ميلاد هيرتزل الحقيقي يوم أن نشر كتابه « الدولة اليهودية » عام ١٨٨٦م، وقد احتفت به الأوساط اليهودية، فعقب صدوره نظمت الصهيونية أول مؤتمر لها عام ١٨٩٧ في مدينة بازل السويسرية، واهتم المؤتمرون بمناقشة عدة قضايا، أهمها:

١- الصهيونية الروحية وتسمى أيضاً بالدينية، وأبرز مفكريها الحاخامات (هيربس كاليشر، وصموئيل مو هيليفر، ويعقوب راينس، وغيرهم).

٢- الصهيونية الثقافية وهي تهتم بإذكاء المشاعر من أجل الوصول إلى وحدة الترابط المصيري من خلال التمسك بالقيم والتقاليد الدينية البحتة تمهيداً لإحياء (دولة صهيون).

٣- الصهيونية الإقليمية ودعاتها تبنوا الفكرة البريطانية في إقامة وطن لليهود في أو غندا.

٤- الصهيونية السياسية والتي تزعم حركتها هيرتزل وفيها يرى أن ارتباط اليهود بمكان مقدس قد يلهب المشاعر ويدفع الجميع لتحقيق الأمل في عودة شعب الله المختار إلى فلسطين و هو ما نوه عنه بصريح العبارة حين قال: « إن الشعور الديني هو مصدر الصهيونية، والحافز لقيامها، وهذا الشعور ناجم من التقاليد والمعتقدات الدينية على أقدم الذكريات التي فيها حياة اليهود الأولى.

على ضوء ما عرضه هيرتزل من أفكار تم عرض المؤتمر الأول الصهيوني في مدينة بازل إبان الفترة من (٢٩ / ٨ ولغاية ٣١ / ٨ / ١٨٩٧)، وحضره عدد كبير من الحاخامات ورجال المال والسياسيين اليهود.

كان الدين العامل الأساسي في استنهاض القوى اليهودية المبعثرة في

الشتات، وقد استوعب هيرتزل تلك الدروس التى انطوت عليها فى السابق الحملات الصليبية على المشرق العربى، فشرع بأن تكون الصهيونية السياسية أداة لحروب دينية تستهدف عن طريق مباشر وطريق غير مباشر الاستيلاء على الأماكن المقدسة فى فلسطين العربية.

لقد ساعد انحراف الأوضاع العربية والإسلامية ومظاهر التجزئة والتفكك على نجاح كل خطوة يأخذها الجانب الصهيونى ، فالجميع مدان.. حكاماً.. محكومين.. كتاباً.. ساسة.. مفكرين.. رجال علم، ورجال دين.

هؤلاء المتفيقهون علماء الدين التابعين لكل سلطة زمنية ومن ابتليت بهم الأمة العربية وهم ينظرون فى المنهاجية المستقبلية كوجه يتعارض مع منهج الدين الذى يترك الأمر بيد الله وحده، ومن ثم (فإن عمليات تقدير المستقبل. ومحاولات التخطيط والبرمجة. تعد تدخلاً فى الوظيفة الإلهية)!!

بينما كان هناك من ينصحون الأمة، ولا أحد يريد أن يسمع صوتهم، حيث حسم أحدهم قضية الصراع التقليدى بين الدين والعلم:

«فقد جعل العلاقة بينهما علاقة تكامل لا تعارض. واستخدم البرهان وسيلة لتحقيق هذا الوئام، فأثبت بالنصوص الدينية حرص الإسلام على العلم والتعلم، لأن النظر والتأمل فى المخلوقات يقودان إلى معرفة الخالق».(٢)

وحين أخذ الاختلاف بتلابيب العرب. كانت الحركة الصهيونية الدينية تأجج مشاعر اليهود، وتعبر فى إطارها العام عن مختلف مشاعر الموجودين فى الشتات، وبذلك يرتفع رصيد المؤتمر الصهيونى الأول بما حققه من نجاح مؤثر، ظهرت من خلاله اجتهادات كثيرة للصهيونية:

(٢) نقلا من د. محمود إسماعيل (الخطاب الدينى المعاصر بين التقليد والتجديد) دار مصر المحروسة ط أولى ٢٠٠٥ ص ١٠٦.

* صهيونية الظل.
* الصهيونية التنقيحية.
* الصهيونية الراديكاية.
* الصهيونية العمومية.

انبثقت من جملة هؤلاء التعددية الفكرية الثقافية العامة فى أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية المتأثرة بالچينات واللقاح الفكرى الصهيونى.

من هذا المربع الأخطبوطى. نطالع ثلاثة تفسيرات من الصعب أن نرجح إحداها على حساب الآخرى، خاصة وأن الجميع فى تلك الأمكنة قد تلبستهم صور وأساطير وتخطف بصرهم بريق من الزيف المتمرس فى الإلباس والتلبس على الآخر:

«إما أن اليهودية قد تلبست على أوروبا ومن ثم الولايات المتحدة قبل عصر النهضة وأثنائه وبعده، وألبست على هذه البلاد فى دينها ، وفكرها وثقافتها، واقتصادها وإعلامها. حتى استطاعت بالتالى أن تحتنك قرارها السياسى.

وإما أن تكون الصهيونية هى اختراع أوروبى للسيطرة على العالم العربى والإسلامى باسم الصهيونية. فتمارس كل أنواع البطش والنهب تحت غطاء الصهيونية ومن هنا التأثير الحاسم للعنصر الإشكينازى الغربى فى رسم وتخطيط وتنفيذ السياسة الإسرائيلية والثقافة العامة فى الدولة.

يؤكد ذلك الدور الذى ما زال هامشياً لليهود الشرقيين فى صياغة المعادلة السياسية التى تتحكم فى قرار إسرائيل. وهذا يساعد على فهم إشكالية تحول الدولة الإسرائيلية إلى أكثر إسرائيلية وأقل صهيونية.. وسواء الصهيونية الكلاسيكية والصهيونية الجديدة المتطرفة، فهى ما زالت تشكل التيار المركزى فى صنع القرار الإسرائيلى، على كل الأصعدة.. وقد باءت جهود «ما بعد الصهيونية» و«المؤرخون الجدد» و«النقاد الاجتماعيين» فى محاولة خلق وعى مركزى بإسرائيلية الدولة وفك ارتباطاتها، أو على الأقل انصياعها المباشر للتأثير

الصهيونى، وكذلك خلق وإنتاج رأس واحد للدولة لكن جهودهم باءت مؤخراً وفى الثلاث سنوات الآخيرة بالفشل الذريع».[٣]

حين تتكشف لنا هذه الأبعاد والمصائد الجهنمية ونراها تتوزع بين أرجاء الوطن العربى ليقع الجميع فى الفخاخ التى نصبت بالدهاء والكراهية فإن أمراً جللاً آخر يجب التنبيه إليه .من حيث ما حاق بنا من نكبات، وتهميش جماهير الأمة من قبل الحكام ومتخذى القرار حتى التبس الوعى وأرادوا لشعب مصر أن يقلع عن ممارسة دوره فى عزلة تفضى إلى الموت. بعد تعطيل مقاومته ضد من بات لدى حكام الغرب صديقاً، والعجيب فى الأمر أن من صاروا اليوم أصدقاء العرب هم من أهل الكتب المقدسة التى يؤمن المسلمون بنصوصها المنزلة على موسى وعيسى وداود.

وتناسى هؤلاء أن اليهود قد أقلعوا عن وصايا موسى، وما جاءت به التوراة، وأصبح التلمود المؤلف البشرى هو لديهم أهم من التوراة، وترافقت حالة انعزاليتنا مع غياب وعى القادة، بينما كانت الحركات الصهيونية فى مصر تحيك المؤامرة الكبرى بحذق واقتدار، ثم ما فتئت بين وقت وآخر تعيد صياغة وإنتاج الخرافات التى تعظم من شأن اليهودية.

كيف كان موقف اليهود المصريين من هؤلاء؟

ينحدر اليهود المصريون من أصول عربية متنوعة، وجاء تعدد اللغات بتنوع فارق فى الثقافات، يضاف إلى التراث الثقافى التوارتى.. تصدى البعض منهم للثقافة الصهيونية، وانحاز البعض الأخر للفكر الداعى لإقامة دولة إسرئيل.

يستدعى هذا الموقف من الذاكرة تكتيل القوى الغربية حينما كانت تعد الحملات الصليبية ضد الأمة العربية:

(٣) أرنون سوفير (إسرائيل ديموغرايا) ٢٠٠٠- ٢٠٢٠، فلسطين.

« فقد كانت بداية عهود الظلام على وطننا. فلقد تحمل شعبنا وحده معظم أعباء الحروب الصليبية ».(٤)

مع أن مصر كانت الحاضنة الأولى للمسيحية، وهى التى تصدت لوثنية بيزنطة وتحمل قسسها وشعبها اضطهاد الإمبراطور « قسطنطين » وتابعه « هرقل »، وكانت مصر بالنسبة لليهود وطناً عزيزاً، يؤكد ذلك شهادة لنائب الكنيسيت الإسرائيلى « شلومو كوهين » يقول فيها: « كانت مصر وطناً عظيماً لليهود المصريين لولا الأعمال القذرة لإسرائيل والتى دمرت علاقتهم بالشعب المصرى والحكومة المصرية ».

كان يشكلون طائفتين:

١- طائفة الربانيين التى ينتمى إليها معظم يهود العالم، وهم يؤمنون بالتوراة والتلمود.(*)

٢- الطائفة الثانية تتكون من اليهود القرائيين الذين يؤمنون - فقط بتوراة العهد القديم - ولا يأخذون بنصوص التلمود، ومعظم هؤلاء من الفقراء، وكان أولادهم يتعلمون فى المدارس المصرية ويتقنون الحديث باللهجة المصرية.

هذه القوى الرئيسية المشكلة ليهود مصر. كانوا من « السفارديم » ولا يشك أحد فى انحدارهم من أصول عربية وشرق أوسطية، وغالبيتهم ولدوا فى مصر لأبوين مصريين، أما اليهود « الإشكيناز » فهم الطائفة التى تدفقت على مصر من روسيا وبلدان شرق أوروبا.

حينما كان الطريق معبداً أمام المد العربى الإسلامى المترامى الأطراف. شرقاً

---

(٤) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة - وزارة الإشاد القومى - مصلحة الاستعلامات ص ٣٧.

(*) يعد التلمود المنظم لسلوكيات اليهود، ويعد بتفاصيله المشرع للعلاقات مع الأغيار (الأمم غير اليهودية) بحيث لم تعد التوراة إلى جواره المصدر المقدس، ولم يعد معظم اليهود يرجعون إليها، ثم صار أحد المصادر الرئيسية لكتاب: «بروتوكولات حكماء صهيون». «المؤلف»

وغرباً. أضاءت الإمبراطورية الإسلامية جنبات الحياة. على «طريق الأخوة فى الإسلام» وكانت شعوب البلدان المفتوحة تؤثر العيش تحت راية «الإسلام» من دون اللقاء على العروبة، طالما كان الإسلام ينادى بمبدأ الأخوة، والتآخى فسهل هذا على أجناس القوميات غير العربية الالتقاء على أرض الإسلام على أساس المساواة بالدين أمام الله وليس بالجنس، ولا باللغة:

إذ أن فكرة الأمة الإسلامية هى التى مكنت دار الخلافة أن تنتقل من المدينة إلى دمشق ثم إلى بغداد ثم إلى غرناطة ثم إلى القاهرة تابعة مسار السطوة الزمنية، ثم إلى استانبول، وهى التى مكنت انتقال الخلافة من بنى قريش إلى خارج بنى قريش.

التى مكنت بعد المأمون مائة خليفة من الفرس والديلم والمماليك والترك أن يجمعوا الخلافة الروحية والسلطة الزمنية على المسلمين. حتى منذ المعتصم بالله والواثق بالله والمستوثق بالله... إلخ.

كانت أسماء الخلفاء الأصلية أسماء أعجمية ثم خلعوها عنهم ولبسوا هذه الأسماء العربية عند توليهم الخلافة، تماماً كما يفعل باباوات روما حين يلبسون أسماء جريجورى وبيوس وألكساندر وأوريان وبولس عند توليهم الباباوية، وكما يلبس باباوات الإسكندرية أسماء كيرلس ويؤانس وشنوده عندما يتولون البطريركية.

ومنذ ١١٥٧ أى منذ فتح سليم الأول مصر والخلافة قد استقرت أربعة قرون كاملة فى أيدى قوم لا يتكلمون العربية هم الأتراك العثمانيون، واستمرت فى استانبول حتى ألغاها مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٢، وقد قامت الخلافة العثمانية داخل إطار السنة على المذهب الحنفى.. لماذا؟ لأن المذاهب الآخرى

كما لاحظ رفاعة الطهطاوى تحصر الخلافة على المسلمين فى بنى قريش العرب.
أما مذهب أبى حنيفة النعمان (٦٩٩ – ٧٦٧م) فيطلق الخلافة بين جميع المسلمين. ثم أنه أقرب المذاهب الأربعة إلى فكرة «الحكم المطلق»، «وبهذا كان

مذهب أبى حنيفة أوفق للملوك » كما قال رفاعة الطهطاوى فى كتابه : « مناهج الألباب » وبهذا كان مذهب أبى حنيفة أوفق للسلاطين العثمانيين الذين لم يكونوا قرشيين ولا عرباً ولا ناطقين بالعربية ».(٥)

عبر هذه الممرات أوجد اليهود فرصتهم المستحيلة حيث رأوا أن الظروف كانت مواتية لتكون مصر قاعدة للصهيونية العالمية فأمور العالم كان يحكمها الاضطراب عقب نشوب الحرب العالمية الأولى مما أتاح لهم التسرب داخل البلاد خلال فترة انهيار الخلافة العثمانية وانكماش نفوذها.

وفى غياب السلطة المركزية للدولة العثمانية. وقعت بلاد المشرق العربى فى قبضة من كانوا يستولون على الأرض بحكم وضع اليد، وعاد دور القبيلة والعشيرة لممارسة نفوذه فأتاح ذلك لليهود حرية الحركة حتى أضحت الصهيونية تأخذ خطواتها باعتداد وثقة على الأراضى المصرية.

استقر معظم الوافدين الجدد فى مدينة الإسكندرية، ولم تكن غالبيتهم من الأوروبيين. وكان من بينهم أرمن ويهود شوام:

« وأصبحت الإسكندرية مدينة « كوزمو بوليت » قوامها الأساسى من حثالة الأوروبيين الذين انهمروا على مصر من كل مكان فى أوروبا لا سيما اليونان وقبرص ومالطة وإيطاليا وسواحل البحر الأبيض المتوسط بوجه عام. وكانوا يتخذون مظلة من الامتيازات الأجنبية التى منحتها تركيا للرعايا الأوروبيين داخل أرجاء الإمبراطورية العثمانية منذ سلمان القانونى عاما ١٥٣٥ ».(٦)

ويشهد التاريخ أنهم كانوا يعاملون بحب من جانب جيرانهم المسلمين والنصارى المصريين، ولقوا – منذ عهد محمد على – الأمن والاستقرار، وعاشوا

(٥) د. لويس عوض (تاريخ الفكر المصرى الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب ج١، ١٩٨٠ ص ٣٧٢.
(٦) د. لويس عوض: المصدر السابق ص ٣٥.

حياة البذخ والرفاهية، وفى مستوى مادى لم ينعموا بمثله فى أوروبا.

كان محمد على باشا قد رفع من شأن مصر والمصريين وأصبحت أوروبا تعمل له ألف حساب بعد أن عمل على تحرير البلاد العربية من نيرو استعباد التبعية العثمانية:

« وقد ضم محمد على الشام الكبير حتى جبال طوروس إلى مصر سبع سنوات حتى معاهدة لندن ١٨٤٠، ولكن دسائس الترك والإنجليز ملأت فترة الحكم المصرى بالثورات و القلاقل الانفصالية فى كل مكان، وكان إبراهيم باشا يقضى عليها كلها أولا بأول، فلم تجد الدولة العثمانية مفراً من التحرك العسكرى المباشر لاسترداد الشام من قبضة مصر، وحين حدثت المواجهة الكبرى بين الجيش المصرى والجيش التركى فى معركة نصيبين أو « تريب » شرق الإسكندرية (١٨٣٩) مزق الجيش المصرى الجيش التركى تمزيقاً وهكذا انسحقت نهائياً قوة تركيا العسكرية وبرزت مصر كأخطر قوة عسكرية فى شرق البحر الأبيض المتوسط، فكانت هذه هى بداية النهاية ».(٧)

ومن مظاهر التكريم ونيل التقدير تلك المكانة الرفيعة التى حصل عليها اليهود فى عهد الخديوى إسماعيل. إذ كان جنابه يأمل فى أن يحقق من ورائهم طموحاته فى تخليص مصر من شرقيتها حتى تصبح جزءاً من أوروبا.

كانت حياة الخديوى إسماعيل مادة خصبة لكل من ساسة بريطانيا وكتابها، وقيل الكثير عن ثروات مصر المنهوبة، والحقيقة أن المنهوب من ثروات الشعب المصرى – فى كل المشروعات العامة أيام إسماعيل وقبل إسماعيل وحيثما قامت للمقاولين دولة.

لكننا لسنا مع الأكاذيب التى روجت بأن إسماعيل لم يخلص فى حياته إلا للذاته

(٧) عبد الرحمن الرافعى «عصر محمد على» مكتبة النهضة. الطبعة الثالثة ١٩٥١ ص ٢٤٥.

وترفه، وأن عصره لم يتم فيه إلا بناء دار الأوبرا، ومن يبغى المعرفة الخاصة سيرى:

« الدليل على أن هذه الأكاذيب كانت مقصودة للتشهير بإسماعيل أن كرومر وملنر وسير أوكلاند وايلجود وزيتلاند وكل من هاجم إسماعيل وعصره بقارص الكلام من الإنجليز الذين عاشوا حقباً لا بد وأنه رأى بنفسه ترعة الإسماعيلية (وطولها ٩٨ كيلو متراً وسعتها ١١ مليون متر مكعب من الحفر)، والرياح البحيرى (وطوله ٤٢ كيلو مترا وسعته ١٠ مليون متر مكعب من الحفر) وغير ذلك من التغييرات فضلا عن الكبارى والسكك الحديدية وخطوط التليغراف التى لا يمكن لأحد أن يدرجها تحت باب الترف ».(٨)

هذه الأعمال، وغيرها، دفعت إسماعيل للاقتراض من زعماء الصهيونية العالميين، فكانت الأمور تمضى على قدم وساق.. خطوة تمضى على قدم لصالح مصر، وخطوات تمضى على قدم وساق لصالح بيوت الأموال الصهيونية.

يضاف إلى كل هذا الاستفادة الدائمة ليهود مصر من الامتيازات التى تخول لهم عدم الخضوع للقوانين المصرية، فقضاياهم ومشاكلهم لا ترفع للنظر فيها أمام السلطات المصرية، وإنما كان يتولى النظر فيها المحاكم الملحقة بالقنصليات الأجنبية، على الرغم من أنهم كانوا أصلاً من رعايا الدولة العثمانية (إلا أنهم فضلوا الدخول فى « حماية » قنصل من قناصل تلك الدولة) حتى (غدا الأجانب فى مصر دولة داخل الدولة).

كان كل شىء فى حياة هؤلاء معداً ومرتباً فى غاية محكومة بتاكتيك جعل توزع حلقات القبضة الصهيونية، تأتى على عدة مراحل زمنية مدروسة باستفاضة حتى تصبح النتائج مثمرة، ولصالحهم.

من هذه الحلقات الأخطبوطية تقسيم البرنامج « المشروع » على عدة مراحل

(٨) د. لويس عوض: المصدر السابق، ص ٦٩.

بدأت أولى هذه المراحل عام١٨٧٠ وانتهت عام ١٨٩٦، وهى الحقبة التى أطلق عليها: «رواد الصهيونية»، ونجد فيها تقسيمات فرعية كما يلى:

– ١٨٧٠ – ١٨٨٠ تأسيس جمعيات أحباء صهيون فى روسيا ورومانيا والتى دعت إلى الاستيطان الزراعى فى أرض فلسطين.

– ١٨٨٢–١٩٠٣ موجة الهجرة الأولى وكانت هجرة واسعة المدى أعضاؤها أساساً من روسيا. من بينهم عديد من أعضاء جمعية أحباء صهيون.

– فى عام ١٨٨٢ صدر كتاب بنسكر «التحرر الذاتى» الذى يدعو إلى إنشاء وطن قومى لليهود.

الجدول التالى يوضح عدد المهاجرين من لإسرائيل حسب الإحصاءات الإسرائيلية:

جدول يوضح عدد المهاجرين
«الذين صرحت بهم المصادر الإسرائيلية» (٩٣)

السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين
١٩٤٨	١٢٠٠	١٩٦٢	٩٠٠٠
١٩٤٩	٧٤٠٠	١٩٦٣	٨٠٠٠
١٩٥٠	١٠٠٠٠	١٩٦٤	٧٥٠٠
١٩٥١	١٠٥٠٠	١٩٦٥	٧٥٠٠
١٩٥٢	١٣٥٠٠	١٩٥٥	٨٥٠٠
١٩٥٣	١٣٠٠٠	١٩٦٧	١١٢٣٥
١٩٥٤	٧٥٠٠	١٩٦٨	١٠٠٠٤
١٩٥٥	٦٤٠٠	١٩٦٩	١١٨٣٥
١٩٥٦	١١٤٠٠	١٩٧٠	٩٠٠٠
١٩٥٧	١١٤٠٠	١٩٧١	٨٦٠٠
١٩٥٨	١١٧٠٠	١٩٧٢	٦٥٠٠
١٩٥٩	٩٨٠٠	١٩٧٣	٢٥٠٠
١٩٦٠	٨٨٠٠		
١٩٦١	٦٥٠٠		

– عام ١٨٩٠ تأسست لجنة اللغة العبرية بقيادة بن يهودا أبى اللغة العبرية كلغة حديثة.

ثم حقبة أخرى من ١٩١٠ حتى ١٩١٩(*) انعقد فيها المؤتمر الصهيونى العاشر ثم الحادى عشر ووقعت الحرب العالمية الأولى.

وحقبة أخرى من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٢٩، حدثت فيها الهجرة الثالثة بالإضافة إلى وقائع أخرى مبهمة ثم حقبة ١٩٣٠ والتى حدثت فيها الهجرة الخامسة، وتوالت الحقب ١٩٤٠–١٩٤٩(*) إلى حقبة ١٩٥٠ – ١٩٥٩ إلى حقبة ١٩٦٠ – ١٩٦٩، وحقبة ١٩٧٠ – ١٩٧٩، وحقبة ٨٠ –١٩٨٩، وأخيراً من عام ١٩٩٠ حتى اليوم».(٩)

فى خلال هذه الفترات كانت مصر تمتد شراييننها.. جنوباً وشمالاً.. ترتفع هامتها. تستطيل ثم تقلصت حدودها الجغرافية، وقد طرقت الصحافة الأهلية أبوابها عام ١٨٦٧م، وكانت صحيفة «وادى النيل» لصاحبها عبد الله أفندى أبو السعود، تعتبر إرهاصاً بظهور عدد من الصحف المصرية والأجنبية فى عصر الخديوى إسماعيل (١٨٦٢) – ١٨٧٩م)، وإن كانت «الوقائع المصرية» صحيفة السلطة الحاكمة قد سبقت هذه وتلك منذ صدورها عام ١٨٢٨م.

ويمكن القول أن صحافة تلك الأيام استفادت من مساحة الحرية التى أعطت لها خلفية اشتعال نيران الحرب بين روسيا وتركيا عام ١٨٧٧م والتى انتهت بانتصار روسيا، وجاءت معالجتها بشتى القضايا تعبيراً عن رغبة الخديوى إسماعيل فى انكماش مشاعره، والتخلى عن بعض اهتماماته والتزاماته تجاه الدولة العثمانية.

(*) تاريخ ثورة ١٩١٩ فى مصر. «المؤلف».

(*) قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ «المؤلف».

(٩) السيد يا سين (الأسطورة الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية) مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ ص ٣٢ و ٣٣ «بتصرف».

وفى شأن الحياة الاجتماعية، الفكرية ومنها الوطنية، يمكن الجزم بأنه فى سبيعنيات القرن التاسع عشر، كانت أنفاس الثائر جمال الدين الأفغانى تؤرج الحياة المصرية بعبق اليقظة، وتزود الواقع بمضخات تبث فى الأوضاع الوطنية والفكرية روحاً متوثبة نحو التقدم والحرية.

ولعل الخديوى إسماعيل قد استفاد من بعض هذه الجوانب حين ألمح عن رغبته فى الاعتماد على الصحافةالمصرية للدفاع عنه، ضد الباب العالى وضد الصحافة الأجنبية التى كانت تصدر فى مصر.

ولا يمكن التعرف على شخصية الخديوى إسماعيل إلا إذا طالعنا أوضاع من اعتلوا مقاعد الحكم من قبله حيث نرى تلك المراحل السيئة التى عانتها مصر والمصريين منذ أن خلف سعيد باشا عباس باشا فجعل من نفسه مطية لدليسيبس، وباعه مشروع قناة السويس، فتصادت فى شتى أرجاء مصر أنين وعذابات الفلاحين، ومن انتزعوا من قراهم لينضموا إلى جيش السخرة، وفى حفل عالمى تم افتتاح القناة فى عهد إسماعيل حيث لم يجد أمامه للصرف ببذخ فى هذه المناسبة سوى المزيد من الاقتراض، وإن كانت هذه فرصة أخرى لتواجد النفوذ الصهيونى ورضوخ مصر لسلطة رؤوس الأموال الأجنبية.

قيل فى هذا الشأن الكثير، كما قالوا فى إسماعيل أنه كان يعشق الكأس والطاس والغادة الهيفاء حتى استغرقته اللذائذ ونالت الكثير من سمعته،، لدرجة أن الحكومة أصبحت على «الحديدة»، وباتت عاجزة عن صرف مرتبات الجنود فاضطر الضباط لاقتحام وزارة المالية حيث صادفهم نوبار باشا رئيس الوزراء، ولم يبرحوا المكان إلا بعد أن سددوا إليه اللكمات، ولم ينج من ضرباتهم مستر «ريفز ويلسون» وزير المالية.

«ولم يكن الضباط يسيرون وحدهم نحو الهدف، بل كان معهم الشعب وإن

يسير فى ركبهم بعض ممثلى الشعب فى الجمعية العمومية».

عقب ما جرى لنوبار على أيدى الضباط. أصدر السلطان فى الآستانة قرارا بعزل الخديوى إسماعيل من منصبه فرأى أن ينهى حياته الرسمية بآخر سهرة له فى قصر الجزيرة، وطلب إلى المطرب عبده الحامولى أن يغنى له كلمات الأغنية التى تقول:

أنا أستحق اللى جرى
ما حد غير اللى انظلم
طاوعت أسباب الهوى
حتى عدا خصمى الحكم

وتتصل الحلقات ببعضها، وتمتد، لتضع – فى العصر الحديث – فوق رؤوس الشعب المصرى مزيداً من الشقاء والتعاسة، خلال عهدى «السادات»، و«مبارك».

لكن بأرواح شباب مصر كان تحرير البلاد على أيديهم فى ثورة ٢٥ يناير العظيمة.

●●●●●